

دفاع امرأة عن النساء

من الرجال

(٣)

روابط الزواج

اذا صح ما قلت سابقاً وهو ان الرجل احسن ما يكون وهو على الفطرة وان المرأة احسن ما تكون وهي على الحضارة ذاتي نظام هو الافضل لارتباطهما في الزواج. واذا قسمناهما الى قسمين القطري والمتمدن كان لنا اربعة اوجه لارتباطهما :

(١) رجل فطري يتزوج امرأة فطرية — نرى على التالى ان زواجاً مثل هذا يجي على تمام المرام اذا نظر فيه الى شخصيتها. فان بيتها يكون نموذجاً من الكهف القديم مكيفاً على مقتضيات العصر — يخرج الرجل الى عمله وتبقى المرأة في بيتها قائلة راضية . والمرجح بعد مضي اربعة اشهر ان الرجل لا يبقى كلفاً بزوجه . ولكن اذا كان طبيعياً تاملها معاملة صديق وجعل يتازحها مزاحاً قد لا يطيب به قلبها في الباطن . واذا كان خبيثاً شأها وامهلاً . والمرجح انها تكون سعيدة في الحالين لان الزواج وحده كاف لان يحمل المرأة الفطرية على الرضى والتساعة

(٢) رجل مهذب وامرأة فطرية — هذا الزواج مثل سابقه تحريماً اي ان الزواج والوجه فيه يحصلان على مثل التساعة التي يحصل عليها الرجل الفطري والمرأة الفطرية اذا تزوجا. ويلاحظ ان اصحاب العقول يختارون على الدوام تقريباً زوجات فطريات لهم وبذلك يخلو الجوهر للزوج فيفرض القوانين التي يشاؤها غير منازع ولا يشعر بشيء من العداة الجنسي نحو زوجته التي تحبه حباً يقرب من العبادة وتحب ان لها افضل نصيب ولا تسأل الا ان يسمح لها بمحرق الخور دواماً على مذبح عظمتها . وقد يعاملها معاملة فظة ولكنها لا تمنى قط ان تكون عذبة . والمرأة الفطرية تحب كون زوجها رجلاً افضل الصفات في عينها ولكن شتان بين الرجل والرجولية الحقيقية. فقد يكون الزوج رجلاً ولا يكون ذا رجولة كما تكون المرأة انثى ولا تكون ذات ظرف ولطف . واهم ما يهم المرأة الفطرية

القوة حتى القوة البدنية فهي تحب الرجل الذي يجعل نفسه سيدها وتمهن الرجل القوي الحليم . اما هو فيعاملها كما يشاء وكما شعرت بقوتها لبست نداءه وسري منها لان ذلك يلائم فطرتها

(٣) رجل مهذب وامرأة مهذبة — قلما يجتمعان اذ قلما يختار احدهما الآخر . واذا اجتمعا فيندر ان يمينا على وئام مدة طويلة ذلك لان الرجل ينفر منها لانها مناظرة له في حلبة العقل والتكر وهي من جهة تفقد السكينة العقلية التي تطلبها ترفاقاً عليها المتقلب والتي يقدمها الرجل لها . ثم ان الجهاز العصبي في كليهما متبيح الى اقصى ما يمكن بحيث يحول ذلك دون تعاونهما على العمل . ويكفي شاهداً على صحة هذا القول الفيلسوف كارليل وزوجته . اما اليبابات برونتج وزوجها فنادران لا يقاس عليهما (١)

(٤) رجل فطري وامرأة مهذبة — زواج مثل هذا هو في اعتقادي المثل الاعلى لانواع الزواج فانه لا جاذبية اقوى مما بين رجل يتحل افضل صنوف الرجل الفطري وامرأة تتحل افضل صنوف المرأة المهذبة اذ لا مجال بينهما للمنافسة او العداة الجسمي . فان الرجل المنهك بالاصمال الفطرية العظيمة مثل الحرب وركوب البحار وتجشم الاسفار والصيد والقتل وما اشبه ذلك يجد في عشرة المرأة المهذبة ملطفاً للوسط الذي يعيش فيه ينبه قواه ويكفيها في وقت مما لا يجد مثله في عشرة المرأة الفطرية . وهو في غنى عن البخور الذي يحسبه الرجل المهذب تقاساً من اتقاس حياته لان الرجل الفطري اذا كان نموذج صنعه فهو خلوق من جنون العظمة الذي يتصف به اهل العقول الكبيرة . فهو يعمل العظام ولكنه لا يشاء ان يتحدث عنها فيها بعد لان كرم خلقه وبساطة عقله يعيلان به عن التفكير في اعماله العظيمة . وان كان لا يحسن الكلام فهو حسن الاصفاء

هذا هو الرجل القوي جميل اليه المرأة المهذبة وهي تعجب برجولته اي لطفه المترون بقوته . وافضل النساء لا تختار زوجاً لها رجلاً من اصحاب الادمغة الذين ينشئون الجملدات الفخمة في الفلسفة العقلية وتحاليلها . ولا تريد الصبي الذي تجول اصابعه البيضاء على مفاتيح البيانو . ولا الشاب الذي يقابل الوان الملابس بعضها ببعض ليري ما يلائم وما لا يلائم وغير ذلك من الاصمال التي تعملها هي في

(١) شاعرة انجليزية مشهورة وزوجة شاعر مشهور هو روبرت برونتج

حالتها الفطرية. ولا تريد رجلاً يقلدها في عملها وإنما تريد الرجل كما صنعت الطبيعة أي ولداً كبيراً رقيق الجانب يركب ويصطاد ويساوي أقرانه ويحب حديثته أو فرسه أو أوموييلة أو دكانته. تحب الرجل الذي هو اعرف منها بعمامة الاعيان والذي يترك لها دائرة المعاني تتصرف فيها على هواها

ثم ان المرأة المهذبة هي الفائزة ولو لم تكن زوجة شرعية. ولا ريب في انها مضطرة الى استخدام قوة الجنس فيها لتأييد سلطانها — تلك القوة التي تمكنت بها في جميع ادوار التاريخ من استعجال الحكماء واستعباد الملوك والاقبال والتحكيم في مصير الامم. ولكن قوة الجنس لا تكفيها للاحتفاظ بسيادتها فانها تسحر الالباب بادىء بدء وتسلط على القلوب بهذه القوة ثم تحافظ على سيادتها بقوة عقلها. ومهما يكن من قدرة جاهلها على اقتناص قلوب الرجال فان هذا الجمل قلما يمكنها من استبقاء امرأها ركباً امامها لان من طبع الرجل اذا قضى لباتته من شيء ان يبيت وهو لا يبالي به بل ربما تحوّل كلفه الاول به كرهاً وازدراء فلا يحتمك في قلوب الرجال ولا يملك قيادهم الا امرأة ذات عقل كبير او ذات ادب رائع وكل امرأة في التاريخ ملكت قلوب الرجال كانت امرأة سامية العقل او رفيعة الذوق لا امرأة فطرية. فقد كان هنري الثاني (احد ملوك فرنسا) يمشق ديان دي براكثير ولها من العمر ٥٩ سنة وذلك لما كانت عليه من محور العقل. وكانت نينون دي لوكروس تستعبد الرجال وهي ابنة سبعين سنة وبلغ من عظم ادبها ان نساء عصرها سحرن بها وارسلن بناتهن اليها ليقتبسن الادب عنها. وبقيت مدام ببادور متسلطة على لويس الخامس عشر بقوة عقلها مدة طويلة بعد زوال محاسنها الطبيعية. وكانت اللادي هملتن (خليلة نلسن) على جانب عظيم من حسن الذوق ولو لم تكن سامية العقل. وكانت ميمراميس نابغة في الادارة. وسحرت كليوباترة انطونيوس بذكاها واستعبدت اسبانيا برقليس بقوة جناتها

ولا يزال ذلك كذلك حتى الآن وان يكن على درجة اقل مما كان — اي ان المرأة التي يطول عهد تسلطها على قلوب الرجال انما هي المرأة التي تجمع بين قوة الجنس وقوة العقل في حين ان اللواتي يستهدفن طوى الرجل فقط ينقلب غراماً بهن غلاً وبنصاً متى انقضى عهد ذلك الهوى

المرأة في الزمان الماضي

وإذا راجعنا التاريخ وجدنا أن جميع عفتيات النساء تقريباً كنّ من ذوات العقل السامي أو الادب العالي . وقلما سمعنا بامرأة ارتقت بهتديب نفسها الى مقام سام في فن أو ادب أو علم أو اشتهرت بوطنيتها أو غيرها على الاصلاح الاجتماعي . بخلاف الرجال فإن كثيرين منهم من المعاصرين الذين نالوا ما نالوا بعرق جبينهم في الادب أو الفن أو العلم أو الاكتشاف والاختراع . والنساء التوراتي راقبن القدور تقلي على النار أكثر كثيراً من الرجال ولكن لم يقدر اكتشاف قوة البخار إلا لرجل فاعلم ذلك

يقول مستصرو النساء في تلميل هذا الامر ان سببه كون المرأة اضعف دماغاً من الرجل وقل قابلية لتعليم نفسها . وعندني ان الاصح ان يقال ان عقل المرأة اغرب عنها من عقل الرجل وانه يحتاج في بادئ الامر الى شيء من الاكراه كنبات ضعيف تحت ستر يقيه لوانح الرياح ونواحيها . وعراك المادة المستمر وهو ما يشغل معظم حياة المرأة التي قدر لها العمل انما هو عراك يقضي على ارتقاها . فقد يحلم الرجل احلاماً طوالاً عراضاً وهو خلف عمرائه ولكن المرأة لا تحلم احلاماً ولا ترى روعاً وهي تطبخ اللحم في مطبخها او تنشر الشيل على حبلها . وبعبارة اخرى ان عقل المرأة يزكو في جور التهذيب . وعليه فان اقدر النساء على ترقية مداركهن هن التوراتي تمرسن منذ الصغر بكل ما هو قائم في الفنون والآداب . وبناء على ذلك نجحت النساء ايما نجاح كملكات

وربّ مسترض يقول ولكن النساء نجحن ملكات لانهن كن آلات في ايدي الرجال . والملوك الذين لم ينجحوا في ملكهم كانوا آلات في ايدي النساء . ويرد على هذا الاعتراض بامرين :

(الاول) ان الملوك التي لم تكن ملكاتها على خلق عظيم لم تنجح . فان عهد كاترينا الروسية وعهد اليمانيات الانكليزية كانا من امجد اليهود في تاريخ روسيا وانكلترا وكانت الملكتان على اعظم جانب من الذكاء والتهذيب في حين ان الملكة حنة الانكليزية وقد كانت فطرية صرفة لم تنجح في ملكها حتى ضرب المثل بضعف ذلك الملك

(الثاني) السبب في كون البلدان التي ملكها ملوك كانوا آلات في ايدي النساء لم تنجح هو ان هؤلاء الملوك اخطأوا في اختيار هؤلاء النساء . ويقال اجمالاً ان الرجال الذين اختارهم الملكات للتأثير فيهن كانوا وزراءهن . والنساء اللواتي اختارهم الملوك كانوا خلياتهم . ولم تنكب البلاد بسوء حيث احسنت الملكات اختيار اخلائهن كما فعلت الملكة اليبابا الانكليزية . وحيث احسن الملوك اختيار خلياتهم كما فعل هنري الثاني وهنري الرابع ولويس الرابع عشر من ملوك فرنسا فان عهودهم من مجد اليهود في تاريخها . اما حيث اساء الملوك اختيار هؤلاء الخليات كما فعل ملوك انكلترا فقد عاد ذلك بالضرر على البلاد . وقد كان تاريخ فرنسا في القرن السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر من مجد تاريخها وفيه كانت السيادة للنساء مثل حنة دي بريتان حامية الشعراء والمصورين وكاترين دي ميديسي

والسبب الاعظم في سيادة المرأة حينئذ كما ارى هو انها لم تحاول منافسة الرجل بل خطلت في السبيل المرسوم لها بحكم الطبيعة وتناولت الامور التي عرفت انها ستفوق فيها . فقد عرفت ان دماغها مثل دماغ الرجل من حيث اكتساب المعرفة فتدربت بدرع التهذيب السامي ولم تنس في الوقت نفسه استخدام اقوى سلاح في يدها وهو معرفة الوظيفة التي وجدت المرأة لها . ومعرفتها هذه هي التي حالت دون ظهورها بظهورها بظهور الساجدة على عرشها الكثير . فقد عرفت كيف تجميع بين العلم والسحر الحلال المأثور عنها وكيف تصف اجبي الحوادث التي تراها برقة تخلب القلوب بها وتقربها من الافهام كأنها رواية بديعة ، وفوق ذلك كله خصت بمخلتين عجيبتين هما قوة التنظيم وقوة الالهام . وكان اعظم عمل عملها الالهام للرجال فقيمة ما صنعتها للعالمين لا تقايم بمقياس مادي منظور بل بمقياس معنوي غير منظور وقد كانت المرأة مصدر وحي لكل رجل عظيم تقريباً . وحضارة كل بلاد تقاس بما للمرأة من التأثير في نظامها الاجتماعي لاني صورة الكياسة الظاهرية فقط بل في دائرة الاماني العقلية والمطامح الروحية ايضاً . هذه هي الحضارة التي يطلب من النساء تأييدها في ازمة العالم الحاضرة . فان مطالب المرأة ومطالب الحضارة واحدة